انتشل العالم كله من غياهب الجهل والتخلف إلى بصائر النور

الإسلام .. دين الحضارة

أنقذت الحضارة الإسلامية العالمَ من ظلمات الجهل والتخلف والانهيار الأخلاقي والقيمي التي سادت العالم قبل الإسلام بعدة عقود، وقد استمدت الحضارة الإسلامية أصولها وروافدها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ثم بانفتاحها على شعوب الأرض جميعًا، لا تُفرِّق بين لون أو جنس أو دين، وكان فيها من الخصائص المميزة ما أهلها لأن تحتل مكان الريادة في العالم، وأهمُّ هذه الخصائص[2]:

أ- العالميّة:

تتسم رسالة الإسلام بسعة أفقها ورسالتها العالميّة، وقد وضح ذلك في إعلان القرآن الكريم وحدة النوع الإنساني، رغم تنوّع أعراقه ومنابته ومواطنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: 13].

وصبغة العالميّة هي التي ترسخ وتؤصل لقيم الحق والخير والعدل والمساواة بين الناس جميعًا، دون النظر إلى ألوانهم أو أجناسهم، فلا تؤمن بنظرية التفوّق العنصري أو الاستعلاء الجنسي؛ فكانت رسالته – صلى الله عليه وسلم – رحمة للعالمين جميعًا، فقال تعالى – مُخاطبًا رسوله –: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء: 107]، وقال تعالى في موضع آخر: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ [سبأ: 28]؛ ولذلك كانت رسالة الحضارة الإسلامية رسالةً عالميّةً يشترك في تحقيقها كل عرق ولون.

هذه هي الخاصيّة الأولى من خصائص الحضارة الإسلامية، وهي خاصية تنفرد بها دون غيرها من الحضارات؛ فأصبحت بحقٍّ حضارةً عالميّة سامية.

ب- الوحدانيّة[3]:

من أبرز ما يميّز حضارة الإسلام أنها قامت على أساس الوحدانية المطلقة لله ربِّ العالمين، وكان لهذه الوحدانيّة تأثيرٌ واضح انعكس بصورة جليّة على حضارتهم وإسهاماتهم في مسيرة الإنسانية، ومما ساهم في رفع مستوى الإنسان وتحريره من الطغيان، وتوجيه الأنظار إلى الله وحده خالق الكون ومسيّره؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: 3].

وهذا ما أعلنه – صلى الله عليه وسلم – في خطبة الوداع: ((يا أيها الناس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على أعجمي، ولا لعجمي على عربيّ، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى))[4].

جـ- التوازن والوسطيّة[5]:

التوازن بين متطلبات الروح ومتطلبات المادة، التوازن بين أفكار الإنسان وخيالاته، التوازن بين علوم الشرع وعلوم الحياة، التوازن بين الدُّنيا والآخرة، التوازن بين المثاليّة والواقعيّة، التوازن بين الحقوق والواجبات، التوازن بين النزعة الفردية والمصلحة الاجتماعيّة؛ قال تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة: 286]، وقال تعالى: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا [القصص: 77]، وهكذا اتسمت حضارة الإسلام بالتوازن والوسطية.

مساجد الإسلام .. في كل مكان

جامع محمد علي بمصر .. تاريخ وفن وسياسة

فيه يقف التاريخ ليقول كلمته حاسماً الخلط الشائع بين عوام الناس، فجامع محمد علي أكثر معالم القلعة شهرة، ويعتقد البعض أن قلعة صلاح الدين الأيوبي هي قلعة محمد علي باشا لشهرة هذا الجامع بها، كما يسمى أيضاً جامع المرمر وهو نوع من أنواع الرخام النادر الذي كسي به.

رأى محمد علي الحاجة الماسة إلى إنشاء مسجد لأداء الفريضة، وليكون مدفناً له، فعهد إلى المهندس المعماري التركي «يوسف بوشناق» بوضع تصميم له، فوقع اختياره على مسجد السلطان أحمد بالآستانة، واقتبس منه مسقطه الأفقي بما فيه الصحن والفسقية مع تعديلات قليلة.

ولقد بدأ العمل في عمارة هذا المسجد بموقعة الحالي من قلعة صلاح الدين سنة (1246 هجرية – 1830م)، واستمر العمل بلا انقطاع حتى توفي محمد علي باشا في سنة (1265 هجرية – 1849م)، فدفن في المقبرة التي أعدها لنفسه بداخل المسجد.

يمتاز المسجد بتأثير الفن البيزنطي على تصميمه، وهو في مجموعة يكون شكلاً مستطيلاً ينقسم إلى قسمين: القسم الشرقي وهو بيت الصلاة أو حرم المسجد، والقسم الغربي وهو الصحن تتوسطه فسقية للوضوء. ولكل من القسمين بابان متقابلان، أي أن المسجد يشتمل على أربعة أبواب، ومن الباب الذي يتوسطه الجدار البحري للمسجد ندخل إلى الصحن، وهو عبارة عن فناء كبير مساحته حوالي 53×54 متراً تحته صهريج، يحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية تحمل قباباً صغيرة متقوشة من الداخل ومغشاة من الخارج بألواح من الرصاص وبها أهلة نحاسية.

في وسط الصحن المكشوف نجد قبة للوضوء أنشأت سنة (1263 هجرية – 1844م) ذات رفرف خشبي ومقامة على ثمانية أعمدة رخامية وباطن هذه القبة زين برسوم ملونة تمثل مناظر طبيعية متأثرة بالأسلوب الغربي.

ويداخل هذه القبة قبة أخرى ثمانية الأضلاع لها هلال رخامي نقش عليها بزخارف بارزة عناقيد عنب، وبها طراز متقوش ملون مكتوب عليه بالخط الفارسي بقلم الخطاط «ستكلاخ» آيات قرآنية للوضوء، وتحمل التاريخ سنة (1263 هجرية – 1844م).

ويتوسط الرواق الغربي بالصحن برج من النحاس المخرم والزجاج الملون بداخلة الساعة الدقاقة التي أهديت إلى محمد علي باشا من ملكة فرنسا لويس فيليب سنة 1845م.

والقسم الشرقي من المسجد وهو المعد للصلاة عبارة عن شكل مربع طول ضلعه من الداخل حوالي 41 متراً تتوسطه قبة مركزية مرتفعة قطرها حوالي 21 متراً، وارتفاعها حوالي 52 متراً عن مستوى أرضية المسجد.

وهذه القبة تحملها أربعة عقود كبيرة ترتكز أطرافها على أربعة أكتاف مربعة، ويحيط بالقبة أربعة أنصاف قباب ثم قبة خامسة ليغطي بروز المحراب عن جدار القبلة، بالإضافة إلى أربع قباب صغيرة بأركان المسجد.

والمحراب من الرخام المصري، بجاوره المنبر الرخامي الجديد الذي أمر بعمله الملك فاروق الأول، وبالقرب منها المنبر الخشبي القديم بالمسجد، وهو أكبر منبر في الآثار المصرية القديمة تحليه نقوش مذهبة عبارة عن لفائف نباتية متأثرة بأسلوب الباروك والروكوكو الأوروبي.

كما توجد دكة مؤذنين بالجدار الغربي، وهو يعرض المسجد مقامة على ثمانية أعمدة رخامية تتوجها عقود نصف دائرية، ولها سياج نحاسي يتوصل إليها وإلى الممر العلوي المحيط بالمسجد من سلمي المئذنتين، وهما على هيئة المآذن العثمانية (القلم الرصاص)، وارتفاعهما 84 حوالي متراً.

وفي الركن الغربي القبلي ضريح محمد علي، ويتألف من تركيبة رخامية حولها مقصورة من النحاس المذهب جمعت بين الزخارف الإسلامية والزخارف التركية المتأثرة بالباروك والروكوكو.

نال جامع محمد علي قسطاً كبيراً من العناية والرعاية من أفراد أسرة محمد، كما اعتنى به الملك فؤاد أربعة أعوام انتهت عام (1939م) وذلك لإعادة بناء القبة.

سيد الاستغفار

عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : « سيّدُ الإستغفار أنْ يقول العبدُ : اللّهمّ أنتَ ربّي ، لا إلهَ إلاّ أنتَ خلقتني وأنا عبدُك ، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعتُ ، أعوذُ بك من شرّ ما صنعتُ ، أبوءُ لك بنعمتك عليّ ، وأبوءُ بذنبي فاغفرْ لي ، فإنّهُ لا يغفرُ الذّنوب إلاّ أنتَ . منْ قالها من النّهار موقناً بها ، فمات من يومه قبل أنْ يمسي ، فهو من أهل الجنّة ، ومنْ قالها من اللّيل وهو موقنٌ بها فمات قبل أنْ يصبح ، فهو من أهل الجنّة » رواه البخاري .

«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون»

اسم الله .. الجبار

قد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في موضع واحد، وهو قوله تعالى

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾

(سورة الحشر الآية: 23)

أيها الإخوة، وقد ورد في السنة، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول:

((يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده، وقبض بيده، فجعل يقبضها ويبسطها، ثم يقول: إنا الجبار، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟...))

2 – معنى اسم (الجبار):

ومن معاني هذا الاسم:

المعنى الأول:

(الجبار) هو صيغة مبالغة من جابر، جابر جبار، كغافر غفار، رازق رزاق، صيغة مبالغة من جابر، وجابر الموصوف بالجبر، والجبر من جبر، يجبر، والجبر إصلاح الشيء بالقهر.

الله عز وجل جبر الفقير أي أغناه، وجبر الخاسر أي عوضه، وجبر المريض أي شفاه.

المعنى الثاني:

والجبار العالي على خلقه، والجبار الذي تنفذ مشيئته في خلقه، الله عز وجل لا غالب لأمره.

لا مُعقِّب لحكمه

(سورة الرعد الآية: 41)

أحياناً يصدر حكم من محكمة الصلح الأولى، الذي حُكم عليه يستأنف، فيصدر حكم من محكمة الاستئناف، الذي حكم عليه يستأنف، في محكمة النقض، لا غالب لأمره.

لا مُعقِّب لحكمه

((ما شاءَ اللّهُ كانَ، وما لم يشأ لم يكن))

[أخرجه أبو داود عن بعض بنات النبي عليه الصلاة والسلام]

أنت مع من ؟ أنت مع (الجبار)، أنت مع الذي إرادته نافذة، أنت مع الغالب على أمره.

واللهُ غالبٌ على أمرِه

فعّالٌ لما يُريدُ

إذا كنتَ مع الجبار فأنت المنتصر

أنت كإنسان هل تستطيع أن تفعل كل إرادتك ؟ الله عز وجل:

فعّالٌ لما يُريدُ

((ما شاءَ اللّهُ كانَ، وما لم يشأ لم يكن))

قام خطيب أمام النبي عليه الصلاة والسلام فقال: ما شاء الله وشئت، فقال عليه الصلاة والسلام: بئس الخطيب أنت جعلتني لله نداً.

((ما شاءَ اللّهُ كانَ، وما لم يشأ لم يكن))

فإذا كنت مع (الجبار)، فأنت القوي، إذا كنت مع (الجبار) فالمستقبل لك، إذا كنت مع (الجبار) فأنت المنتصر، إذا كنت مع (الجبار) تدور الأيام، ولا تستقر إلا على رفعة شأنك، لأن مشيئة الله نافذة في كل خلقه، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد، يُجبر كل أحد، ولا يُجبره أحد.

المعنى الثالث:

و(الجبار) هو الجبروت، كمالك الملك والملكوت، يقول عليه الصلاة والسلام:

((سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء، والعظمة))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن وف بن مالك]

3 – اسم (الجبار) من أسماء التعظيم والتنزيه:

اسم (الجبار) أيها الإخوة، من أسماء التعظيم، هناك اسم ذات، وهناك اسم صفة، وهناك اسم فعل، وهناك اسم تنزيه، وهناك اسم تعظيم، (الجبار) من أسماء التعظيم.

((الكبرياءُ رِدائي، والعظمة إزاري، فمَن نازعني واحداً منهما قذفته في النار))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة]

أحد امتحانات المسلمين قوة أعدائهم

لكن أحياناً لله عز وجل في خلقه امتحانات صعبة، من هذه الامتحانات أنه يقوي أعداءه، فيفعلون ما يقولون، فيتوهم ضعيف الإيمان أنهم آلهة، فينبطحون أمامهم، والحقيقة أن الله لا يسمح لأحد أن يأخذ اسم (الجبار)، ولا اسم القهار، ولا اسم العزيز، لا بد من أن يقصمه الله، ولهذا قال الله عز وجل:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾

(سورة الأعراف الآية: 34)

كيف أن للرجال أعماراً وللأمم أعماراً، فأية أمة طغت، وبغت، وتجبرت لا بد من أن يقصمها الله في وقت ما.

أيها الإخوة، اسم (الجبار) من أسماء التعظيم، وهو في حق الله من كماله، من دلائل عظمته، من قوته، لكن لو قلنا: فلان جبار، فهذا اسم نقص، وصفة نقص في الإنسان، يقول الله عز وجل:

كذلك يَطبَعُ اللّهُ على كلِّ قلبِ مُتكبِّرٍ جبّارٍ (سورة غافر الآية: 35)لأن العبد عبد، والرب رب، العبد من شأنه الافتقار، حتى الأنبياء قمم البشر كانوا:

﴿يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (سورة الفرقان الآية: 20)

هم مفتقرون في وجودهم إلى إمداد الله لهم، بل مفتقرون في تأمين طعامهم إلى المشي في الأسواق، إذا هم عبيد، وعباد، لكن الله سبحانه وتعالى هو رب العباد، والعبيد شيء، والرب شيء آخر.

معنى (الجبار) عند الجبرية من أفسد المعاني:

أيها الإخوة، إلا أن (الجبار) عند فئة الجبرية، وهي فئة عقيدتها فاسدة، تتصور أو تتوهم أن الله يجبر عباده على أفعالهم، وأن الإنسان كريشة في مهب الريح.

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

هذه العقيدة تتناقض مع كمال الله، فكيف يجبر الله عبداً من عباده على معصية ثم يحاسبه عليها؟ هذه عقيدة أهل الشرك، قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾

الإنسان مخيّر:

الإنسان مخير وليس مسير

فلو ألغينا حرية الاختيار في الإنسان لألغينا الثواب والعقاب، ألغينا الجنة والنار، ألغينا حمل الأمانة، ألغينا التكليف، ألغينا كل شيء.

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾